سجن من نوع جديد

مترجمة عن مجلة "وورلد دايجست"

ذلك هو السجن الذى أنشأته حديثا حكومة كولومبيا فى مدينة برنابى للفتيان الذين خطوا أول خطوة فى طريق الإجرام .

فلقد نجح هذا السجن نجاحا لم يكن متوقعا . لأنه نهاية ما يمكن أن تسمو اليه أحلام ذوى المثل العليا . هنالك لا تجد أبوابا مغلقة . ولا حراسا مدججين بالسلاح ، بل ترى سجنا فى صورة منزل وادع يعيش فيه كل المسجونين فى صفاء وطمأنينة وشرف . يعملون ويأكلون ويمرحون فى حرية كاملة غير منقوصة .

وفى هذا المكان الفريد فى نوعه يجد ثلاثة وأربعون صبيا الأعمال التى تلائم مزاج كل منهم وطاقته ، فلا يجهد أحدهم نفسه فى عمل شاق عليه أو منهك لجسمه ، ومن ثم تبدو فى نظرات جميع نزلائه مخايل الذكاء وبوادر الرجولة المبكرة والصحة الموفورة .

والمشروع ذاته من بنات أفكار المستر أنجاس ماك ليود . الضابط السابق لسجن أوكالا . والذى أكدت له تجاربه الطويلة مع المجرمين أنه ينال باللطف ما لا ينال بالعنف .

وطبقا لنظام المشروع يقضى المذنبون ثلاثة أيام من كل أسبوع خارج المحابس فى مرح لذيذ ونشاط مثمر مبتكر . فمن منتصف الساعة الثامنة إلى الساعة التاسعة صباحا يختلطون فى خلقات تهذيبية ثقافية . ومن الساعة التاسعة إلى الساعة الحادية عشرة يتركون على سجيتهم لهواياتهم الشخصية كلعب الورق أو الإنصات إلى المذياع ، أو السمر أو المطالعة المسلية فى قاعاتها الخاصة أو خارجها . وتنثر لهم فى قاعات المطالعة الكتب النافعة والمجلات المصورة الجذابة التى تنمى ملكاتهم وتغذى مداركهم وتؤثر فى طباعهم وأخلاقهم أيما تأثير . ويسمح لهم باستقبال أقاربهم أو أصدقائهم مرتين فى الشهر ، كما يسمح لهم بالكتابة إلى هؤلاء تحت رقابة أو إشراف موظف مختص .

وكثيرا ما يسأل الضابط ماكليود كل من يصادفه فيقول " ترى هل سمعت يوما أن مسجونا طلب إعادته إلى السجن أو رفض الخروج منه إذا انتهت مدة بقائه فيه ؟ أليس عجيبا أن ترى كل يوم على باب هذا السجن عشرات ممن غادروه يسألون بإلحاح عما يجب أن يفعلوه ليؤذن لهم بالعودة إلى حظيرته أو لقضاء عطلة آخر الأسبوع بين زملائهم السابقين ؟ ! " .

وليس المستر ماكليود هو المتحمس الوحيد لهذا المشروع ، بل هناك المستر ا. ستيفنس يراقب النشاط التهذيبي فيه وهو يقول فى حرارة المؤمن بالفكرة إن غالبية الأطفال يفكرون آليا ، والأذكياء منهم هم الذين يستطيعون هضم دروس الكهرباء والمحركات الزيتية ، والأقل ذكاء تجتذبهم أعمال النجارة وفنون العمارة ، والباقون يهربون من مدارسهم ليسطوا بخفة على العربات التى تصادفهم فى الطريق العام ، وقليل جدا من هؤلاء يستعملون العنف فى ارتكاب جرائمهم ، ومع استثناءات لا تكاد تذكر يرث أولئك الأطفال ميول آبائهم ، ولطالما وجهت السؤال الآتى إلى الأطفال الذين يزاولون النجارة " ما هى الثمرة التى ترجوها من التشبث بهذه المهنة ؟ " فيجيبنى كل منهم إجابة تصحبها ابتسامة ماكرة بأن روح التقدم فى البلاد تستتبع حتما تشييد العمائر بين حين وآخر ، وعلى هذا لا يمكن اختفاء هذه المهنة .

وفى كل عام ينظم اتحاد سانت جون للإسعاف محاضرات دورية فى طرق الإسعاف الأولية ، ويرسل نادى الروترى محاضرين فى الشئون الزراعية والاجتماعية ، أما اتحاد الكنيسة المحلى فيعقد حلقات عامة فى الهواء الطلق حيث يثير كل فتى النقاش الذى يروقه ، ويخضع فى الوقت عينه للاختبار والتحليل دون أن يشعر ، ولما سئل أحدهم عن الفائدة التى يرجوها الفرد من الحديث فى المجتمعات العامة أجاب فى رزانة طبيعية " إن من السهل على الفرد بهذه الوسيلة أن يهذب أفكاره ، فقد تجمع فى أعماق قلبه الباطن أمهات المشاكل التى يحسن إلقاؤها على بساط البحث ، أو الخواطر التى تجمل إذاعتها على الناس ، ولكنه لا يشعر بالارتياح إلا اذا صاغ هذه المشاكل وتلك الخواطر فى ألفاظ رقيقة وعبارات سلسة " وإذ أتم المسئول جوابه البديع هز باقى الفتيان رءوسهم بالموافقة على كلامه .

ومن عجب أن تسود الأمانة ومقتضيات الشرف بين المسجونين على وجه ملموس برغم حداثة المشروع ، إذ لم ينس الذين انتهت مدتهم فى هذا السجن ماضيهم بين جدرانه ، ولماذا نذهب بعيدا والإحصاءات الأخيرة تذكر أن ثلاثة وخمسين خرجوا من هذا السجن فلم يجدد نشاطه سوى ثلاثة منهم سقطوا مرة أخرى فى حمأة الرذيلة ، أما الباقون فلم ينكروا أياديه البيضاء عليهم حتى بعد التحاقهم بأعمال كان من السهل أن تغطى على ذكرياتهم عنه .